Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد أدى هذا النشاط إلى أن تصبح وسائل التصنيع وفنون البديع مقياساً من أهم المقاييس النقدية التى اصطنعها النقاد العرب فى حقبة طويلة من حياة الفن الأدبى عندهم .

وذلك المقياس البديعى مقياس جمالى من غير شك ، يقوم عليه مذهب هو أقدم المذاهب الفنية وأكثرها اتصالا بطبيعة الفن الأدبى ، الذى هو فن جمالى تعبيرى ، وهو المذهب أو المنهج المعروف بالمنهج الفنى فى دراسة الأدب ونقده .

فقد اتجه الناقد الأدبى إلى البحث عن ضروب الافتنان فى التعبير ليقيس بها قدرة الأديب على فنه ، وتمكنه من صناعته .

وكان لشيوع ذلك المقياس أثر واضح فى تعمد الأدباء إبراز مواهبهم وقدرتهم على تأليف البديع ، وإشاعة ضروبه فى ثنايا أعمالهم الأدبية ليرضوا بذلك أذواق النقاد . وكان لذلك أثره فى الإسراف فى استخدام ضروب الحلى البيانية ، كما كان لذلك أثره أيضاً فى طغيان الجانب اللفظى على الجانب المعنوى ، حتى أصبح الفن الأدبى أشبه بالطلاء على غير أساس سليم من البناء ، وحتى فقدت الصنعة طابعها الجمالى الذى يحببها إلى النفوس ، وأصبحت كلمة « الصنعة » توحى إلى سامعها بمعنى التعمل والتكلف فى طلبها ، وبذلك أصبحت ثقيلة على الآذان ، تنفر منها الأذواق السليمة ، بعد أن كانت مظهراً للأناقة والجمال ، ولاشك أن كثيراً من رجال الصنعة استطاعوا أن يذللوها لخدمة المعانى وتجليتها ، فكانت روعة الأداء توازى فخامة المعانى . كما نجد فى كتابات الجاحظ وابن العميد والصاحب بن عباد وأمثالهم من أمراء الكلام وأعلام الكتاب ، وكما نجده أيضاً فى أشعار مسلم بن الوليد وبشار وابن المعتز وأضرابهم من فحول الشعراء الذين تقترن فى أشعارهم المعانى الجميلة بروعة الصنعة التى استخدموها فى قصد واعتدال .

ولكن كثيراً من الأدباء أيضاً بذلوا جهدهم واستفرغوا مواهبهم فى تصيد الحلى وتكلفها ، حتى شوهوا صورة هذا الفن بالحسن المجتلب ، والصنعة المتكلفة على حساب المعانى « وذلك ضرب من الخداع بالتزويق ورضا بأن تقع النقيصة فى نفس الصورة وذات الخلقة إذا أكثر فيها من الوشم والنقش ، وأثقلها صاحبها بالحلى والوشى » . وذلك يقاس – كما يقول عبدالقاهر – قياس الحلى على السيف الكليل ، والناقد الذى يغتر بخداع الصنعة ، وبريق الألفاظ ، أشبه بمن ينظر إلى الخيل فلا يعنيه إلا حسن ألوانها ، وتناسق أعضائها ، فيكون كما قال أبوالطيب :